مُفـتريـات(١)

مقدمة:

لا يجد الباطلُ ما يحارب به الحقَّ سوىٰ طريق الجبناء، فيشيع عن الحق بين الناس قالةَ السوء، ويبهته بالْمُفْتَرَيَاتِ السود في الظلام، فما يستطيع البومُ أن يتطلع إلىٰ النهار، ولا الخفافيش أن تجابه النور، ولطالما دعونا الحاقدين علىٰ أنصار السنة المحمدية كفاحَهم في سبيل الله، والعودةِ بالمسلمين إلىٰ الكتاب والسنة، فما كان منهم سوىٰ التقنع بالرياء ونفث السموم في الخفاء.

قالوا: إننا مُجَسِّمة!! قالوا: إننا نبغض الأولياء والأئمة، قالوا: إننا وهابيون، قالوا: إننا نكرر ونعيد في الدعوة إلىٰ التوحيد، كأنما التكرار في الدعوة إليه سُبَّة، وقالوا غير ذلك مما يكشف عن سوء الحقد، ومرارة الهزيمة أمام الحق، وخبث الطوية التي تزعم أنها نفحات من الطيب، وهي نتن الرياء ويَحْمُومُ النفاق.

وفي هذا المقال رَدٌّ مجمل علىٰ هذه المفتريات، لعل الذين يفترون يرتدعون، وليؤمنوا - إن كانوا يعرفون الإيمان - أن اللهَ مُتِمٌّ نورَه، ولو كره الكافرون.

لقيته بعد زمن، فهفوت إليه ظمآن الشوق ملهوف الحنين، فقد كان أستاذي الذي يدرس لي الأخلاق عند فلاسفة المسلمين، وقد عرض علينا فيما عرض في كتابه رأي الإمام الجليل ابن تيمية مثنيًا عليه، حامدًا لشيخ الإسلام حكمته الهادية، وبصيرته المشرقة، وكفاحه في سبيل نصرة الحق وغلبته بالحجة الناصعة

---

(١) ((٥) و(٩)/ ١٣٦٩).

الدامغة، فاستشرفت نفسي حينذاك إلىٰ كتب شيخ الإسلام التي كنت أتجنبها مخافة أن أزيغ فأهلك، فقد كان مما أدرسه في بعض كتب الفقه: أن هذا الإمام العظيم ضالٌّ مُضِلٌّ.

وآمنت - بعد أن شرح الله صدري للحق - أن ابن تيمية في دينه وعقيدته وعلمه وجهاده مثل أعلىٰ، وقمة من المجد الشامخ تتلألأ بأضواء الخلود.

وظللت أُكِنُّ في نفسي الاعتراف بالجميل لأستاذي هذا الذي أخذ بيدي إلىٰ المنبع، وأنا أعاني الحيرة والظمأ في التيه السحيق!! ولكنني دهشت دهشة الابن البار يتنكر له أبوه دون ذنب اقترفه؛ إذ رأيت أستاذي الكبير يَزْوَرُّ عني بوجهه!! فلبثت أجلو له صدق الحب وولاء التلمذة، حتىٰ جعلته يقبل عليَّ، ويصغىٰ إليَّ، فساءلته عما جعله يشيح بوجهة عني، فقال: (انتسابُك إلىٰ جماعة أنصار السنة المحمدية) وقلت للأستاذ الكبير في ابتسام لا يخادع، ولا يسخر: (أتعرف أنك أنت الذي جعلتني أخطو أول خطوة في طريقي إلىٰ هذه الجماعة؟) فقال الأستاذ محتدًّا غاضبًا: (إذن لا كنتُ أنا، حتىٰ لا أفقدك، فأراك مع هذه الجماعة).

فقلت للشيخ الكبير: (أما أنا، فأحمد الله علىٰ أن كنتَ يا أستاذي الكبير). ثم قلت للشيخ بعد حوار ما عرف العنف إلا من جانب واحد: (وما يغضبك من جماعة أنصار السنة المحمدية؟).

دعوة الجماعة:

قال: (دعوتها).

قلت: (إنها تدعو إلىٰ كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، كما دعا الصدر الأول من المسلمين).

قال: (كل الجماعات كذلك).

قلت: (يستطيع كل امرئ أن يدعي ما يشاء، ولكن المهم هو أن يقيم الحجة البينة والبرهان القاطع علىٰ أنه كذلك. فابن سبإ اليهودي الصهيوني كان يزعم أنه يدعو إلىٰ الكتاب والسنة، والْمُقَنَّعُ الدجال، وأبو الخطاب الأسدي، والقرامطة، كل هؤلاء كانوا يزعمون أنهم يدعون إلىٰ الكتاب والسنة، وهم أشد الناس بغضًا للكتاب والسنة بها يكيدون، وبها يفعلون.

إننا ندعو إلىٰ الكتاب والسنة فيما نقول، وفيما نفعل، وأهدافُنا وغاياتُنا كلها تعبيرٌ صادق عن إخلاصنا فيما ندعو إليه. نقول لا إله إلا الله، بقلوبنا وألسنتنا وأعمالنا، فنعبده وحده، ونحبه وحده، ونرهبه وحده، ونتقيه وحده، ونتوكل عليه وحده، وندعوه وحده، ونستعين به وحده، لا نجعل بيننا وبينه حجبًا، ولا نتخذ من دونه أندادًا، لا أولياء ولا شفعاء ولا وسطاء، فالله هو الولي، وهو علىٰ كل شيء قدير.

ماذا تعيب علينا؟ أتعيب علينا أننا ندعو إلىٰ صدق التوحيد والإخلاص فيه، ونعقتد اعتقادًا جازمًا بأن الله وحده هو الذي بيده الأمر، وملكوت كل شيء، فلا نتوجه بأية عبادة إلا إليه سبحانه؟!

أتصدقني إذا قلت لا إله إلا الله، وأنا أقول معها: أغثنا أدركنا يا فلان؟ أتطابق استغاثتي هذه شهادتي بأن الله واحد؟ أم هي تصفعني بالكذب في الشهادة؟

أتصدقني إذا شهدت بأن محمدًا رسول الله، وأنا فيما أعتقد وفيما أقوم به من عبادات أخالف رسول الله؟ أدعو غير الله، وأقِّرب إلىٰ سواه النذور، وأقسم بالنبي أو الولي أو مقابر الآباء والأجداد، وأؤدي صلاة هي مِزَقٌ من كسل وخلاعة وسرعة مجنونة، وأتعصّب لأحكامٍ أتعبَّد بها دون أن أعرف مصدرها، وقد يكون مصدرُها

هوىٰ عارمًا وشهوةً مجنونة ورأيًا فاسدًا!! الجماعةُ التي تدعو إلىٰ الكتاب والسنة كما صورتُ لك تعيبها، وتأخذ عليها طريقها؟ ولا تعيب أولئك الذين يؤدون الشهادتين بألسنتهم، وفي قلوبهم شتىٰ أرباب وآلهة؟ يخرون علىٰ عتبات المقابر سُجَّدًا، ويطوفون حولها خاشعين خانعين، ويعربدون بالموالد علىٰ كل قُدْسِيَّة، ويستعبدون خَلْقَ الله لشهواتهم، إذ يكلفونهم خدمة النعال، وتوجيه القرابين إلىٰ الموتىٰ، وحبس الأموال علىٰ الموالد؟

هل نحن مجسمة؟

وابتسم الشيخ، وابتسامته مزيج من إشفاق، ثم قال: (ولكنكم يا بُنَي مُجَسِّمة).

وقلت للشيخ الجليل: (أعيذك - وأنت صاحب العلم الكبير والعقل الفيلسوف - أن ترمينا بقالة السوء التي يفتريها العوام أو علماء السوء، فما يصف أنصارُ السنة ربَّهم إلا بما وصف به نفسه، ولا يسمونه إلا بما سَمَّىٰ به نفسه، ولا يقولون عن ذاته سبحانه إلا ما قاله هو جَلّ شأنه، مقتدين في هذا برسول الله ﷺ، سالكين سبيل البررة الأخيار من الصحابة والتابعين، لقد قال سبحانه: إنه سميع بصير. فقال المسلمون: آمنا. قال: إنه استوىٰ علىٰ العرش. فقال المؤمنون: آمنا[1].

(١) دون أن يسألوا كيف استوىٰ، فما سأل مثل هذا السؤال أحد من أصحاب الرسول علىٰ كثرة ما سألوا، ودون أن يحددوا للاستواء كيفية، لأنهم أبعد من أن يقولوا علىٰ الله بغير علم، ودون أن يؤولوا استوىٰ باستولىٰ: إذ لو كان معناها كذلك، لبين الله، حتىٰ لا يضطرب عباده، ولبين الرسول طاعة لله، فمن مهمته الكبرىٰ بيان ما نزل إليه، ثم إنه لا يمكن أن يكون معناها كذلك، لأن الاستيلاء يفيد المغالبة، فلو أننا قلنا عن استوىٰ أن معناها استولىٰ، لأدىٰ هذا إلىٰ الإيمان بأن عرش الله كان في حوزة غيره سبحانه، وبأن الله
=

قالوا ذلك مخبتين خاشعين مطمئنين إلىٰ أن الله لا يقول إلا الحق والصدق، ولا يقول عن نفسه إلا ما يليق بجلاله وكماله، أما غيرنا فيرفض الإيمان بأن الله سميع بصير استوىٰ علىٰ عرشه، وفي هذا الرفض الجاحد الكافر اتهامٌ خطير فاسقٌ لله الحكيم العليم بأنه لم يعرف كيف يصف أو يسمي نفسَه، في هذا الرفض رَفْضٌ للإله الذي دعانا القرآن إلىٰ عبادته، ودَعْوة لعبادة إله آخر تصنعه الأوهام والأساطيرُ. يا للعجب البالغ من أن يؤمن الزاعمون بأنهم مثقفون بما قال أرسطو وأفلاطون وابن سينا والفارابي وابن عربي، عن الله!!، ويكفرون بما جاء به محمد ﷺ، وأولئك دعاة زندقة وأمشاج من ضلالات وهو ﷺ خاتم المرسلين وأعظم هداة البشرية علىٰ الإطلاق.

لقد صورت الفلسفة ربَّها في صورةٍ وجودٍ مطلق لا يعي ولا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ولا يرضىٰ ولا يغضب، ولا صلة له بالكون وظلت هكذا تجري وراء السُّلوب لاهثةَ الأنفاس، حتىٰ جعلت ربها عَدَمًا مَحْضًا، فما يوصف بالسلب الصرف موجود، وإنما يوصف به المعدوم.

ثم يا للعجب البالغ أن يؤمن من يَدَّعون أنهم روحيون بما قال ابن عربي وابن الفارض وأضرابهما من أن الله سبحانه هو عين كل شيء جسمًا وذاتًا وصفه واسمًا!! ولا يقال عن هؤلاء المغرقين في التجسيم والتشبيه والمادية التي تنشب

=

كان مغلوبًا علىٰ أمره، ثم قوىٰ، فاستولىٰ علىٰ عرشه ممن كان قد استولىٰ عليه منه، وجل جلال الله القوىٰ القدير المهيمن، فلتقل أيها المسلم مطمئنًّا كما قال سبحانه إنه استوىٰ علىٰ عرشه، واحذر أن تنحرف، فتنحدر، فتهوىٰ إلىٰ قرار سحيق.

أظفارَهَا في الطين أنهم مجسمة!!، بل يقال عنهم أنهم مثل عليا للروحانية!!.

أما نحن أنصار السنة فيرمينا هؤلاء بأننا مجسمة. لماذا؟ لأننا نؤمن بقول ربنا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، فننفي عنه سبحانه ما نفىٰ هو عن نفسه، ونثبت له جل شأنه ما أثبت هو لنفسه دون تشبيه أو تمثيل أو تأويل أو تعطيل، لأننا لسنا آلهة حتىٰ نضع للمعبود من عندنا أسماءه وصفاته!!

ثم أسائلك: هل رأيت في كتاب أو مقال أو سمعت في خطبة عن أنصار السنة قولهم عن الله جل شأنه أنه جسم، أو أن صفاته تشبه صفات الأجسام أو صفات خلقه؟ إنني أتحدَّىٰ - ولعنة الله علىٰ المفترين - أتحدىٰ كبار المؤتفكين للبهتان علىٰ أنصار السنة وصغارهم أن يذكروا لي كلمة واحدة قالها واحد من أنصار السنة يُشْتَمُّ منها رائحة التجسيم، أو تمثيل صفة من صفات الله بصفة أحد من خلقه!! اللهم إلا إذا عدوتم وبغيتم علىٰ الله نفسه، فاتهمتموه بأنه هو الذي جسّم نفسه، لأنه هو الذي ذكر في كتابه هذه الصفاتِ والأسماء التي يعبده بها أنصار السنة.

لقد قال ابن سينا عن الله: إنه عاشق ومعشوق، ولَاذٌّ ومُلْتَذٌّ ولذة، وقدستم ابن سينا، وقال ابن عربي: إن الله عين المؤمن وعين الكافر، ورفعتم ابن عربي بهذا إلىٰ أفق القداسة!!

أما نحن أنصار السنة، فقلتم عنا إننا مجسمة، لأننا نَحْذَرُ ونخاف أن نقول علىٰ الله إلا ما قاله هو جل شأنه، وقاله رسوله ﷺ؟ فهل تريدون منا أن نعبد أولئك الفلاسفة والجهمية والمعطلة، والصوفية من دون الله، فندين بما اختلقوا لله من صفات هي نقص وشهوات!!

هل تريدون منا أن نكفر بقول الله؛ لترضوا عنا؟ معاذ الله، معاذ الله أن نسعىٰ

إلا في سبيل الله، وأن نؤمن إلا بقول الله، وأن نشتري رضاءكم بالكفر بالله.

نزول الله:

وقال الشيخ: ألم يقل رئيس الجماعة[١] أن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا كنزولي هذا؟ ثم نزل درجتين من علىٰ سلم المنبر.

وقلت للشيخ: أما الشطر الأول، فقد قاله الشيخ الجليل، نقلًا عن رسول الله الذي ذكر لنا أن ربنا ينزل في كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا[٢]، أما الشطر الأخير الذي زعم لك الناس فيه أنه شبه نزول الله بنزوله من علىٰ المنبر، فهذا لم يقله، وما كان له أن يقوله؛ لسبب بسيط تستطيع أن تدركه، وهو أن الشيخ الجليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان صادقًا في دعوته إلىٰ الكتاب والسنة، وليس فيهما تشبيه نزول الله بنزول أحد من خلقه.

ستجد من يقسم لك بالسيد البدوي أو بالطلاق أنه سمع بأذنه هذا من فم الشيخ، ولكن اذكر قول الله: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١١]. ثم إنني أرجوك - وقد علمتني أن أبحث عن الحق - وأنت صاحب فكر ودارسُ فلسفة - ومن مُقَوِّمَاتها البحثُ عن الحقيقة كما تزعمون - أن تقرأ ما كتب الشيخ، وما طبع من كتب، وما علق به علىٰ هذه الكتب؛ لتدرك أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان شديد المحاسبة لنفسه وقلمه ولسانه في التزام الكتاب والسنة اعتقادًا وقولًا وعملًا.

ربنا ينزل إلىٰ سماء الدنيا. آمنا بقول رسول الله ﷺ.

---

(١) يعني بهذا فضيلة الإمام الراحل الجليل الشيخ محمد حامد الفقي، أسكنه الله فسيح جناته.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، برقم: (١١٤٥)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين، برقم: (١٦٨/ ٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ولكن كيف ينزل؟ لا ندري، ولا نتكلم أبدًا عن هذه الكيفية، فليس ربنا بشرًا حتىٰ نقيس ما يتصف به، أو يفعله علىٰ صفاتنا وأفعالنا، وما في الكتاب والسنة ما يبين عن هذه الكيفية.

فرية ابن بطوطة على ابن تيمية:

ثم إن هذه الفرية قديمة مهلهلة، افتراها ابن بطوطة علىٰ الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية، إذ يقول عابدُ القبور عن محطم الأصنام شيخ الإسلام في عصره: (حَضَرْتُهُ يعني ابن تيمية - يوم الجمعة وهو يعظ الناس علىٰ منبر الجامع، ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: (إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر)[1]، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلىٰ هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضربًا كثيرًا)[2].

---

(١) يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

تأمل حقد ابن بطوطة علىٰ شيخ الإسلام حيث يفتري عليه هذه التهمة، ولست أدري كيف يكون ابن تيمية مخبولًا ثم يعظمه أهل دمشق هذا التعظيم، إلا أن يكونوا جميعًا مخبولين، وكيف يخلف من في عقله شيء هذا التراث الأدبي الديني الفكري الرائع الذي يسمو به العقل البشري إلىٰ الآفاق العلوية الذرىٰ في العقيدة الناصعة والعمل الصالح؟ [مقال بعنوان: ابن بطوطة يفتري الكذب علىٰ ابن تيمية مجلة الهدي النبوي صـ(٣١) العدد (٤) سنة ١٣٧٠هـ]. (ض).

(٢) (صـ ٧٧/ جـ١) مهذب رحلة ابن بطوطة، ثم لماذا قام العوام، وضربوا من عارض ابن تيمية؟ ألا يدلك هذا - علىٰ فرض تصديق القصة - أن ابن تيمية لم يقل شيئًا يغضب الله، وأن هذا الفقيه قام ليفتري علىٰ الشيخ، ويبهته بما لم يقله، فضربه الناس؟!.

وابن بطوطة مفتر كذوب ينفس عن مرير حقده ضد شيخ الإسلام، فابن بطوطة من عبدة القبور، تراه في كتابه يتحدث عن معجزات أصحاب القبور، واستشفائه بأصحاب القبور، وشهوده كرامات القبور!! وابن تيمية عدو مبين لهذه الوثنية الصماء، ويأبىٰ الله سبحانه إلا أن يفتضح كذب ابن بطوطة افتضاحًا يسجله التاريخ ويسجل خزيه وعاره، ويثبت بالحجة الحسية أن ابن تيمية بريء من بهتان شانئيه، وإليك البيان:

يقول ابن بطوطة: (ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين إلىٰ مدينة دمشق الشام)[١].

يثبت من هذا أن ابن بطوطة دخل دمشق عام ٧٢٦ في شهر رمضان!!

فأين كان ابن تيمية رضي الله عنه في هذا التاريخ؟

كان رضي الله عنه سجينًا في قلعة دمشق!! فمتىٰ سمع ابن بطوطة من ابن تيمية؟ ترىٰ هل انتقل المسجد الكبير إلىٰ السجن، أو انتقل السجين إلىٰ المسجد؟ بل الحقيقة تدمغ ابن بطوطة بأنه مفتر كذوب؟!.

وإليك الدليل علىٰ أن ابن تيمية كان سجينًا يوم دخل ابن بطوطة دمشق.

يقول صاحب العقود الدرية[٢]: (قال الشيخ علم الدين: وفي ليلة الإثنين

(١) ص (٦٨) مهذب رحلة ابن بطوطة ج(١)، وكان يوم ٩ من رمضان في تلك السنة هو يوم السبت لا يوم الخميس انظر التوفيقات الإلهامية.

(٢) الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله، والاسم الصحيح للكتاب: «الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين: تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية»، وبهذا الاسم نشره الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند، وانظر منه ص(٩-١٣) في تحقيق صحة =

لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، توفى الشيخ الإمام العلامة الفقيه.. ابن تيمية)، ثم يقول في مكان آخر عن ابن تيمية: إنه بقي مقيمًا بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأيامًا[(١)]، وفي مكان آخر يذكر أنه سجن يوم ٦ من شعبان سنة ٧٢٦هـ[(٢)]، وهكذا يثبت التاريخ الصحيح أن ابن تيمية دخل السجن في شعبان، أو آخر رجب سنة ٧٢٦ هـ وظل سجينًا لم يخرج من سجنه حتىٰ مات في ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ.

سجن ابن تيمية في شعبان، ودخل ابن بطوطة دمشق في رمضان من السنة نفسها، فمتىٰ سمعه وأين؟

هذه هي الفرية[(٣)]، وقد ظلت تدور علىٰ ألسنة عبدة القبور حتىٰ رمي بها رائد

=

«الانتصار» دون غيره. (ض).

(١) انظر صـ(٣٦١، ٣٦٩) العقود الدرية.

(٢) انظر صـ(٣٢٧، ٣٢٩) العقود الدرية.

(٣) يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول شيخ الإسلام: «مذهب السلف والأئمة إثبات الصفات ونفي مماثلتها لصفات المخلوق، فالله تعالىٰ موصوف بصفات الكمال الذي لا نقص فيه، منزه عن صفات النقص مطلقًا، ومنزه عن أن يماثله غيره في صفات كماله، فهذان المعنيان جمعا التنزيه، وقد دل عليهما قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١، ٢] فالاسم الصمد يتضمن صفات الكمال، والاسم «الأحد» يتضمن نفي المثل... فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالىٰ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله». أفمن يقول هذا يشبه نزول الله إلىٰ سماء الدنيا بنزوله هو؟!

أم هو الحقد الحقود من ابن بطوطة وعبد الطاغوت علىٰ شيخ الإسلام؟!

=

جماعة أنصار السنة الأول[١] رحمه الله وغفر له!!.

وخشيت وقد انقاد الشيخ تحت سطوة الحق، أن يدفعه هذا إلىٰ العناد المقيت، وأكره أن أراه في مثل هذا الموقف، فظللت أمارس هزيمته بالمجاملة حتىٰ تخيل أني لا أعرف أنه يكابد مرارة الهزيمة.

موقفنا من أولياء الله وأولياء الشيطان:

ثم قال: (ولكنكم تكرهون أولياء الله وتُجدِّفُون بهم، وتطعنون عليهم).

وقلت للشيخ: (معاذ الله أن نكره وليًّا لله أو نطعن عليه، ونحن نؤمن بقوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، فَمَنْ والىٰ اللهَ ورسولَه فنحن معه حُبًّا وتأييدًا، وانتصارًا له في كل معركة، غير أننا نحارب من يعبد الأولياء. من دون الله، نحارب من يزعم أن الأولياء بيدهم الأمر والحل والعقد والتصريف[٢]، والله يقول لخاتم النبيين: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ويأمره بأن يقول: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢٠-٢٢].

=

[مقال بعنوان: ابن بطوطة يفتري الكذب علىٰ ابن تيمية - مجلة الهدي النبوي صـ(٣٥) - العدد (٤) - سنة ١٣٧٠هـ]. (ض).

(١) يقصد الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (ض).

(٢) حسبك أن تسمع من الدراويش: مدد يا أهل التصريف.

وهل تنسىٰ يوم دعا الرسول أحبَّ الناسِ إليه، وأَمَسَّهم به رحمًا: هم عمه العباس، وصفية عمته، ومعهما ابنته فاطمة التي وصفها ﷺ بأنها بضْعَةٌ منه يُرِيبه[١] ما أرابها، ويؤذيه ما أذاها، ثم قال لكل منهم: «**اعملْ فإني لن أغني عنك من الله شيئًا**»!!

وإلىٰ هذا الهدىٰ ندعو الناس، فهو نجاة وحياة وكرامة وعزة وخلود.

نحارب هذه القبابَ التي تبنىٰ بأموال اليتامىٰ والأرامل مذكرين الناس بقول الرسول «ﷺ» لعلي: «**لا تدع قبرًا مشرفًا إلا سَوَّيته**»[٢]، وبكيفية دفن الرسول في عهد أعظم المؤمنين به، فلا قبة، ولا مقصورة، ولا سندس، ولا ثريات كهربية، واسمع قول فاطمة لأنس، وقد دُفن خاتم النبيين: «أَوَهَانَ عليكم أن تُهيلوا التُّرَابَ علىٰ وجه رسول الله؟ فقال أنس: لولا أننا أُمِرْنا بهذا ما فعلنا»[٣].

نحارب هذا الإسراف الأحمق المجنون علىٰ أجساد الموتىٰ، وهذا التقتير الشحيح علىٰ الأحياء!! إن ما تتكلفه مقصورة من المقاصير[٤] يكفي لبناء

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، برقم: (٣٧١٤)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، برقم: (٩٤/ ٢٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجنائز، برقم: (٩٣/ ٩٦٩)، من حدث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، برقم: (٤٤٦٢)، من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولفظه: «أطابت أنفسكم أن تحثوا علىٰ رسول الله التراب؟!».

(٤) ورد في تقرير لوزارة الإرشاد القومي أن عدد الأضرحة في سنة ١٩٥١ كان (١٩٢) وفي عام ١٩٥٩ أصبح عددها في بعض المناطق ٥٦٨ ضريحًا، ومع زيادة الأضرحة زاد عدد الموالد حتىٰ وصل عددها ٨٩٢ مولدًا!! ثم يقول التقرير: (ولا بد من محاربة هذه البدعة، =

مستشفىٰ أو مدرسة، أو تسليح كتيبة من الجيش تذود عن حياض الحمىٰ!!

نحارب هذه الموالد العفنة التي يُستباح فيها الإِثم باسم الدين، ويتراقص فيها الشيطان باسم ذكر الله، طبول ودفوف ونساء علىٰ مدارج الطريق ومراقص، وردغات قمار وميسر، وانطلاق مع الفساد الخلقي والديني إلىٰ آخر مدىٰ.

نحارب هذه المرقعات التي يلبسها أولئك الشُّعْثُ الْغُبْرُ القذرون المناكيد الأنجاس باسم الولاية الدينية. نحارب هذه الأساطير والشعبذات الخاتلة[١] التي تزعم أنها كرامات ومعجزات. نحارب هذه الكتب التي تمجّد الخطايا، وتدعو إلىٰ المجانة، وتصف الله بأنه تحت إِمْرَة البشر.

اقرأ كتب ابن عربي، لتجد الرب فيها موصوفًا بكل نقيصة دنسة، اقرأ شعر ابن الفارض لتراه كزميله هذا يمجد الصليبية واليهودية[٢] والمجوسية، اقرأ كتب الشعراني، لتجد الخطيئة الوقحة تستعلن علىٰ لسان الشعراني وقلمه كرامةَ ولي مقدسة، وأقل هذه الخطايا التي تحتسب كرامات اقتراف الفاحشة علىٰ قارعة الطريق!! فهل نلام علىٰ حرب هذه المنكرات التي تفسد الدين والخلق والفكر والأمة، وتعين عليها كل فتنة قاتلة، ومذهب مهلك هدام؟!

وإلا فإنها مع مضي الزمن سوف تشيع بين الناس روح الكسل) انظر الأهرام بتاريخ ٨/ ٢/ ١٩٦٠.

(١) **يقال**: السَّحابة المُخَيِّلَةُ، التي تحسبها ماطرة، والخال: سحاب لا مطر فيه. انظر: «القاموس المحيط» مادة: (خال) ص(١٢٨٧). (ض).

(٢) اقرأ ترجمة علي وحيش وأبو خوذة في كتاب: «طبقات الشعراني». (ض).

إننا في حرب مع الصهيونية من أجل سلامنا وسلام العالم كله، ولكن ابن عربي وابن الفارض يمجدانها فيما يكتبان؟ فيكف نستعين بمن يقدسونهما في حربها؟! وكيف نأمن لهم جانبًا؟

أنا لا أدعوك إلىٰ الإيمان بما أقول قبل أن تتبين، فناشدتك الله إلا ما قرأت شيئًا من هذه الكتب التي يحيطها كثير من الناس بالقداسة، ويمرغون الجباه ذلًّا وعبودية لمن ألَّفوها، وأنا بعد هذا الرَّضِيُّ، لأني ما زلت أعتقد أنك تميز بين الحق والباطل.

هل نكره الأئمة؟

وقال الشيخ وقد ارتعد من هول ما سمع، أو من هول هزيمة أخرىٰ، فما بالكم تكرهون الأئمة؟

وقلت للشيخ: لقد راعتني دعوتك في كتبك إلىٰ فقه الكتاب والسنة، أفإن جاءت علىٰ لسانك كانت حلالًا، وإن جاءت علىٰ ألسنتنا كانت حرامًا؟

ثم متىٰ سمعت منا طَعْنًا علىٰ إمام من هؤلاء؟ إنما نطعن علىٰ العصبية المذهبية التي جعلت من المسلمين شيعًا وأحزابًا، نطعن علىٰ من يجعل هؤلاء أربابًا وآلهة، نطعن علىٰ من افتروا كتبًا نسبوا ما فيها من أقوال ضالة إلىٰ هؤلاء الأئمة رضوان الله عليهم!.

نقول للناس: اجعلوا الكتاب والسنة مصدرًا لدينكم، وخذوا عن رسول الله ﷺ هَدْيَكم، وانظروا في أقوال هؤلاء الأئمة فما رأيتموه موافقًا للكتاب والسنة، فبه اعملوا، وإلا فاهجروا.

وما طلب أبو حنيفة، ولا مالك ولا الشافعي، ولا ابن حنبل من أحد أن يقلده، فكل قد ورد عنه التحذير من هذا، وحسبك قول الشافعي: ما رأيتموه موافقًا

للكتاب والسنة فاعملوا به، وإلا فاضربوا به عرض الحائط!!.

خذ كتابًا واحدًا من هذه الكتب التي ألفت في القرون الوسطىٰ، وسيروعك ما فيها من غموض وإيهام، واستعصاء علىٰ الفهوم، إذ كان أربابها يريدون هذا؛ ليشدوا حاجة الناس إليهم دائمًا!!، اقرأ مثلًا باب الوضوء في كتاب من هذه الكتب، وستجد نفسك في حاجة إلىٰ شهر إن لم يكن إلىٰ شهرين، حتىٰ تفهم بعض الفهم ما يراد منك التعبد به، ثم اقرأ ما ذكر الله عن الوضوء في سورة المائدة، وكيفية وضوء الرسول ﷺ في كتب السنة، وثمت تجد الوضوح والإشراق واليقين والطمأنينة، وما إخالك إلا فاعلًا هذا، بل لقد فعلته في كتبك، وضربت عرض الحائط في كثير من صفحاتها بالموروث عن المذهبية المتعصبة!.

وأصغيت إلىٰ الشيخ وهو يثني علىٰ كتبه، لعله ينسىٰ أنه يتجرع الغصص علىٰ يد الحق يبغته به من كان تلميذه.

الوهابية:

وما إن أفاق من خمرة الغرور حتىٰ قال: إذن لماذا - وأنتم تحاربون العصبية المذهبية - تدينون بمذهب الوهابية؟!!

وقلت للشيخ: معاذ الله أن نجعل التناقض من سماتنا، أو من خصائص تفكيرنا ودعوتنا!!. فما قام الإمام الجليل المجاهد الشيخ الكبير محمد بن عبد الوهاب داعيًا إلىٰ نفسه، ولا إلىٰ دين ابتدعه، ولا إلىٰ مذهب اقترفه، وإنما قام - واقرأ تاريخه وكتبه - داعيًا إلىٰ الله ورسوله، داعيًا إلىٰ الكتاب والسنة؛ داعيًا إلىٰ نبذ البدع والخرافات، وما دان به الناس من تقاليد تناهض روح الإسلام، وتجاذبها العداوة والبغضاء!!

وقد تحمل ما تحمل في سبيل الله. تحمل مفتريات السوء يبهته بها عَبَدَةُ الطواغيت وأحلاسُ البدع، تحمل مناهضة الوثنيين في صَبْرٍ كريم، وجَلَد قوي لا يلين، حتىٰ انتصر الحق الجليل علىٰ الباطل الخسيس العربيد، حتىٰ آمن الكثير بأن ما يدعو إليه الشيخ الجليل هو الحق والهدىٰ والنور الذي يشرق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأتحدىٰ كائنًا من كان أن يثبت أن هذا الإمامَ الجليل صرح أو لمح أو رمزَ أو لَوَّح إلىٰ أحد يطلب منه أن يكون «وهابيًّا»، فالثابت أنه كان يدعو الناس إلىٰ أن ينتسبوا بدينهم إلىٰ رسول الله ﷺ اعتقادًا وقولًا وعملًا.

أما هذا اللقب فما أطلقه الإمام الجليل علىٰ مَنْ ناصروه أو أيدوه، ودعوا إلىٰ الله معه، فما كان رَحِمَهُ اللَّهُ بالمتناقض في دعوته، وإنما كان الواضحَ الصريحَ الذي يلتقي أول ما يدعو إليه بآخره في مطابقة تامة واعية، إنما أطلق عليه هذا اللقب شانئوه انتقامًا لباطلهم المصروع من سلطان الحق الذي جرد الإمام الجليل سيفه بل انتقامًا من حربه المنتصرة التي دك بها طاغوت العصبية المذهبية، يريدون من وراء هذا أنه يدعو إلىٰ مذهب خامس، ومضىٰ أعداء التوحيد وعبدة الأصنام يشنعون علىٰ دعاة التوحيد بهذا اللقب، وإنه لكريم في دلالته إلا عند ذوي العقول الْعَوْراء، لسنا وهابيين، وإنما نحن والشيخ الجليل ومن ناصروه: المسلمون، وإلىٰ هذا داعا الإِمام الجليل ابن عبد الوهاب.

وأبىٰ الشيخ إلا أن ينبذنا بالحق الذي ندعو إليه، إذ قال: (ولكنكم لا تدعون إلَّا إلىٰ التوحيد فحسب دون أن تدعوا إلىٰ شيء آخر).

فقلت: يا سبحان الله!! أتعابُ الشمس أنها تشرق، أو أنها ترسل الدفء علىٰ المقرور! أتعيب دعوتنا إلىٰ التوحيد، وهو الدين أصلُه وفرعُه؟!.

أتعيب دعوتنا وهي دعوة كل الرسل؟، اقرأ كتاب الله وثمت تجد أن جميعَ الرسل كانوا يبدأون دعوتهم بالتوحيد، ويظلون يدعون الناس إليه إلىٰ أن يصعدوا إلىٰ الرفيق الأعلىٰ. ندعو الناس إلىٰ توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته هو الدين والهدىٰ والحياة والاستقامة في العواطف والفكر والخلق والسلوك، وإذا استقام للمرء هنا استقامت حياته كلها.

ماذا يجدي الدعاء، وماذا تجدي الصلاة والصيام والحج وغير ذلك مما فرض الله، ماذا يجدي ذلك كله، وفي القلب معبود غير الله، أو إله مع الله؟!

ثم إنك ترانا ندعو إلىٰ توحيد الله، وإلىٰ كل ما شرع الله لتثبيت عقيدة التوحيد في قلوب عباده، اقرأ ما نكتب واسمع ما نقول، لتؤمن أننا نأمر بالمعروف وننهىٰ عن المنكر، نأمر بما أمر به الله، وننهىٰ عما نهىٰ الله. فهل يعد ذلك عيبًا؟

ندعو الرجال، وندعو النساء، ندعو هنا، وندعو هناك!!

ونحارب كل دعوة هدامة، وكل مذهب ضال، وكل بدعة منكرة، نحارب الاستعمار؛ لأننا نرىٰ الخنوع له خنوعًا للكفر، وقبولًا لولاية الكفار.

نحارب الصهيونية في شتىٰ صورها، ونكشف عن أساليبها الماكرة الدنيئة التي ظهرت في صور مذاهب تنتسب إلىٰ أسماء إسلامية!!

نحارب الشيوعية؛ لأنها عدو الله وعدو الإنسانية، وعدو الحياة. نحارب الوجودية؛ لأنها تجدِّف علىٰ الله، وتحتقر الأديان، وتكفر بالقيم.

نحارب دين ابن عربي ومن دانوا بدينه، لأنه فسوق وإلحاد أصم.

نحارب المجانة والانحلال الخلقي الذي ابتلانا به الغرب، فظهر جريمة علىٰ شفتي المرأة اللتين تلعقان دم الخطايا، وعلىٰ جسدها العاري الذي عربدت عليه المعصية.

نحارب كل منكر، وننصر كل معروف وندعو إليه، هذا لأننا لا نجعل القرآن عضين، فنأخذ جزءًا ونترك جزءًا آخر!! لأننا ندعو إلىٰ الإسلام أصله وفرعه، نراه وحدة متجانسة متكاملة، وبناءً واحدًا لا يصح أن نهدم لبنة!! ولأننا نجاهد في سبيل أن يكون المسلمون أمة واحدة يصدق عليها قول الله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢].

تحت راية التوحيد ندعو إلىٰ الوحدة الكبرىٰ.

هذا عهدنا مع الله ونضرع إلىٰ الله أن يعيننا علىٰ الوفاء بعهده.

وطال الحديث بيني وبين الأستاذ الكبير، وفهمت من كل ما قال شيئًا واحدًا: هو أنه يريد أن يكون رئيس جمعية كبيرة أنا معه فيها، ولكني لم أتبين منه أهداف جماعته، لأنه هو نفسه، لم يكن يعرف لها أهدافًا!! كان الهدف أن يكون رئيس جماعة فحسب!! ولهذا كان سمعه مغلقًا، وقلبه مغلقًا، غير أني أظن أني أخذت للحق بحقه ممن حاول اغتصابَه!!

تذكرت هذا الحوار الذي احتد منذ مدة بيني وبين أستاذي هذا الذي لا يزال يقتعد كرسيًّا ضخمًا في إحدىٰ الجامعات. تذكرته وسجلته ليعتبر به المفترون، وليتعظ به من يبهتوننا بالكذب الحقير.

